المثقف الجزائري و تهمة الكتابة
ـ رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي أنموذجا –

أ/ عفاف سايح ــ جامعة باتنة1

د/ نجوى منصوري ــ جامعة باتنة1

الملخص :

لجنس الرواية مقدرة خاصة على رصد التحولات الاجتماعية و الإيديولوجية التي تطرأ على الفرد و المجتمع ، فهي تعكس شيئا من الواقع الحقيقي للمثقف ، ذلك أن له وعي نضالي فريد من نوعه نابع من إحساسه العميق بالقضايا الكبرى كالظلم السياسي المُسلط على الإنسان و القمع الاجتماعي و اختلال النُظم الاقتصادية و التي لا يستطيع الإنسان البسيط التعبير عنها .

تفضي هذه الدراسة بشرح المواقف المتباينة للمثقف في النص الروائي باعتباره لسان الأمة و ممثل الشعب و الشخص القادر على قراءة التاريخ و تحليله تحليلا صائبا .

الكلمات المفتاحية : الكتابة، المثقف، السلطة ، رواية العشرية السوداء ،الموالاة ، المعارضة.

Abstract:

This research deals with the image of the intellectual in the novel as having a specialability to monitor the economic , social and political changes thataccur in the life of the person and society . The novelreflectssomething of the real reality of the intellectual ,thathe has a unique awareness of the kind stems fromhisdeepsense on major issues such as political injustice imposed on humanbeings, social oppression and disruption of economicsystemsthatordinaryhumanbeingscan not express.

This studyprefers to explain the divergent positions of the intellectual in the novel as the language of the nation and the representative of the people and the personwhois capable of readinghistory and analyzingitcorrectly.

KEY WORDS : WRITING – INTELLECTUAL- POWER-BLACK DECIMAL – LOYALISTS –OPPOSITION.

مقدمة :

منحت الثقافة للفرد إنسانيته و ميزته عن بقية المخلوقات، و خولت لهحملمعانيها من خلال الاستجابة لمجموعة من الرؤى الفكرية و الإيديولوجية و التاريخية باعتباره كائنا يعيش في وسط مركب من عناصر حيوية تضمن للبشرية سبل الحياة الحضارية بعيدا عن الغرائزية التي ترفض النظام و الاختصاص. و عليه أصبح للمثقف مكانته في تفعيل القضايا الكبرى ضمنمنظومة أخلاقية مدروسة و مشتركة بين مجموعة من الضوابط التي يسعى المثقف إلى توضيح معالمها و الدفاع عنها ضد أي انتهاكات . و قد أخذ السرد دوره في توعية المجتمع بمكانة المثقف الذي يحمل هموم الأمة فكريا و فنيا و إعلاميا بأسلوب أدبي يتشكل في رواية أو قصة .

إشكالية الدراسة :

تقع على كاهل المثقف التزامات لا يختص بها غيره ،و ذلك بسبب قدرته على التفكير و استنباط كل التصورات المسكوت عنها و خرق سلم الطابوهات ، فالمثقف ليس مجرد سارد للتطورات الثقافية الحاصلة فقط ، بل يسهم في صناعة الحدث و تأطيره و منه فإن هذه الدراسة تطرح جملة من الإشكالات منها: كيف يمكن أن تتسلط الثقافة على المثقف؟ هل يُعتبر المثقف عنصرا نشطا داخل المجتمع أم أنه فقد القدرة على أداء دوره ؟ إلى أي مدى يربط المثقف بين الإيديولوجيات المتنوعة كخلفية مذهبية و بين الثقافة كفكر إنساني بنائي ؟ كيف يتعامل مع المرأة كمثقف موازي يؤثر في المجتمع ؟.

أهداف الدراسة :

تعد الرواية الجزائرية شاهدا على الدور الفعال للمثقف ، تحلل وضعيات المثقف كشخص مؤثر له وزن في بناء و هيكلة الصورة الحقيقية للمجتمعات . ومنه فإن لهذا البحث أهداف منها :

- إبراز العوائق التي تعترض طريق المثقف أثناء تأدية مهامه .
- عرض الانشغالات الكبرى للمثقف من خلال رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي .
- كشف الصورة النمطية الجاهزة و المشوهة للمرأة المثقفة في أعين المجتمع.
- الوقوف عند جدلية المثقف العربي بين التبعية و الإبداع .

أهمية الدراسة :

انعكست السياقات المختلفة التي يحملها مفهوم المثقف في أذهان المبدعين على النتاج السردي بشكل عام و النتاج الروائي بشكل خاص فدفعت الروائيين إلى الكتابة في هذه الطروحات الثقافية لاستجلاء صورته الحقيقية التي ترتبط بميزان القوى الفكرية الحداثية التي تخضع لها الرواية في تشكيلها اللغوي وبنيتها الدلالية ، فالرواية تستشكل من خلال اهتمامها بالمثقف أزمة جيل و تاريخ و إنسانية تعاني جميعها بشكل أو بآخر أزمة ثقافية .

1ـ المرأة المثقفة بين صمت الكتابة و صوت التقاليد و الأعراف:

عرف المثقف الجزائري فترة التسعينات تذبذبا واضحا في مسار حياته الخاصة و حياته الأدبية ، و شهد منعرجات حاسمة رسمت معالم شخصيته الثقافية باعتباره عاملا مؤثرا في المجتمعات و ليس مجرد كائن فيزيقي يُضاف إلى عدد النسمات السكانية المشكلة للمجتمع . و تتجلى لنا صورة

المثقف الجزائري في ثلاث حالات :" مثقف يُجبر على الصمت أو يكون مصيره التصفية الجسدية ، و مثقف يختار الهروب من الواقع ، و مثقف مصيره السج".[1]

كان للمرأة المثقفة حراك فعال في المجتمع الثقافي شأنها شأن الرجل ، إلا أنها كانت في الكثير من الأحيان محل جدل فوقعت تحت صخرة التقاليد و الأعراف: " فالمرأة الكاتبة تعرف عراقيل أصعب و أعنف من العراقيل التي يعرفها الرجل .. فالمرأة تجد نفسها مكرهة على الخيار المر، الزواج أو الكتابة . و لقليل منهن ذوات الحظ السعيد اللائي يجدن زوجا متفهما ، يقبل أن تحقق زوجته ذاتها ككاتبة ..." [2]

على الرغم مما حققه العلم من إدراكات و وعي في ذهنية المجتمعاتلا تزال تخضع موضوع المرأة للطابوهات المحرمة، و يظهر في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي شكل لهذا التمييز حيث جاء على لسان بطلة الرواية حياة : " زوجي مثلا لم يوفق يوما في تمييز الأثاث الحقيقي عن الأثاث المزيف في أي نص كتبته ، و لذا أصبح يبدي انزعاجا من جلوسي لساعات أمام طاولة الكتابة ، بدل تخصيص هذا الوقت لطفل لا يأتي ، دون أن يعترف

[1] -حركاتي سهيلة ، سيميائية الفضاء في رواية خرائط لشهوة الليل لبشير مفتي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير ،كلية اللغة و الأدب العربي ، جامعة سطيف 2 ، ص 118 .

[2] - محمد ساري ، وقفات في الفكر و الأدب و النقد ، دار التنوير ، الجزائر ، 2013، ص، 120 .

تماما بأن ما يزعجه ، هو الكتابة في حد ذاتها ؛ كعمل مواجهة ، و مراوغة . لم يستطع- برغم إمكاناته البوليسية- التجسس على مصداقيتها "[1]

فالبطلة تقصد بالأثاث الحقيقي المعنى الفعلي من كتاباتها و التي لم يستطع زوجها العثور عليه وسط كل المعاني المزيفة الأخرى رغم مستواه العلمي ورتبته العسكرية ، و هذا ليس جهلا منه لكنها طبيعة رجل شرقي وطبيعة مجتمع بأسره ينادي بحرية المرأة وتعليمها وثقافتها شرط أن لا تُصدر ثقافتها و إبداعها إليه أو تشهرها في وجهه .

2. البحث عن وطن مفقود عبر جسد موجود:

إن فترة الضياع و اليأس و البؤس التي ظفر بها المثقف الجزائري فترة العشرية السوداء وضعته في دائرة سوداء و عصبت عينيه بخرقة سوداء فأضحى- و هو مغمض العينين- يقاوم محاولا البحث عن أمل لوطن مفقود بين سياسات سلطوية عليا و رصاصات إسلاموية كاذبة نافذة الحكم .

فحياة في فوضى الحواس تبحث عن آمالها المنكسرة ككاتبة على عتبة جسد مادي . تبحث عن رائحة أبيها الشهيد الذي لو رأى كغيره من الشهداء ما آل إليه الوطن لرثوا لحاله بعد أن وقع بين أيدي لصوص الحياة و تجار الموت : " كان من الأفضل لو كنت كائنا حبريا ، و بطلا وهميا في قصة ، هؤلاء على الأقل لا يُغتالون ، ولا يموتون ولا نخاف عليهم من شيء. لماذا جئت إذا كنت رجلا حقيقيا ؟ "[2]

---

[1]- أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، دار الآداب للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2010، ص 96.

[2] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 302.

إنها لا تبحث عن جسد رجل بقدر ما تبحث عن جسد وطن أنهكته الدماء والمآسي ، وعن تاريخ شوهت معالمه ضربات السيوف التي نحرت رقاب المثقفين و نشرت مكانها ثقافة الموت و شرعية الخوف . إنها رحلة البحث عن بطل ورقي مضاد لمجتمع مريض لتعين هذا البطل زوجا لأحلامها الروائية باعتبار أن الرواية أصبحت : " تكتب التاريخ من خلال ما يجري في أذهان نخبة من المثقفين الذين يعيشون انتكاسات عاطفية و خيبات ذاتية فردية ، و هي ترسم صورة للمثقف الواقف في مفترق الطرق ..."[1]

والأمر ذاته يقال عن ذلك البطل الورقي الذي قفز من إحدى رواياتها لتجده حاضرا أمامها تماما كما تصورته داخل هذه الرواية ، فقد جاء على لسانه و ردا على سؤال حياة حين قالت له: أي مدينة تسكن ؟ : " لن يفيدك جوابي في شيء . أنا كالكتاب الذين يسكنون مدينة كي يكتبوا عن أخرى .أسكن مدينة لأتمكن من حب أخرى . و عندما أغادرها ، لا أدري أيهما كانت تسكنني ... غادرت قسنطينة عن حب .. و غادرتني هي عن خيبة "[2]

إن هذا البطل يبحث في جسد و روح حياة عن جسد قسنطينة و روح الجزائر المبعثرة أشلاءها على الشرفات المغلقة المهجورة خشية أن ينتهك حرمتها صياد جائر جاء ليقطف شبابا في عمر العطاء ، ليترك خلفه وطنا جريحا بلا غد و أمس بلا حاضر أو ماضي أو مستقبل .

أما حين سألته حياة : هل في حياتك امرأة رد قائلا : " لا تفرحي ... من الأفضل أن تحبي رجلا في حياته امرأة .. على أن تحبي رجلا في حياته

[1] - أمين الزاوي ، صورة المثقف في الرواية المغاربية المفهوم و الممارسة ، دار النشر راجعي ، الجزائر ، 2009،ص 441.

[2] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 82.

قضية . فقد تنجحين في امتلاك الأول، و لكن الثاني لن يكون لك .. لأنه لا يملك نفسه "[1]

أي أن المرأة في حياة المثقف ليست جسدا بل ما هي إلا : " الدرع الواقي من المحن التي يعانيها الوطن .. و ما هذا التعلق بالمرأة إلا هروبا من جحيم العالم الخارجي و بحثا عن تحقيق الذات داخل ذات هذا الكائن الذي يسمى امرأة"[2]

والواقع أن حياة لم تكن ترى هي الأخرى في هذا البطل جسدا تشاركه حبا في الظلام فقد استنتجت أن :" مشكلة الكاتب أنه لا يقاوم أحيانا الخروج عن النص و التورط الأدبي مع الحياة ، حتى في سرير ... فقد دخل هذا الرجل حياتي ذات صيف ، مستفيدا من فقداني لأي مناعة عاطفية ، و انشغالي بين فصلين ، بكتابة قصة حب وهمية ، و حبه ليس إلا تصادف اجتماع عدة ظروف استثنائية "[3]

تسرب هذا الحب الوهمي إلى قلب حياة و سكن عقر تفكيرها و حياتها في مرحلة انقسمت فيها بين زوجها العسكري القاسي ، و بين أخيها الأصولي الإسلاماوي الناقم على النظام ليفتح لها هذا الشخص باب الفرص لتهريب أحلامها الروائية و انشغالاتها العاطفية المكبوتة دون أن تتحول إلى رمز للشهوة الجسدية المحضة ، لأن النص الروائي الجديد : " لا يقدم امرأة جسدا ،

[1] - المصدر نفسه ، ص 93.

[2] - سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير تخصص أدب جزائري ،كلية اللغة و الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ،ص94-95،

[3] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 308.

يشتغل بوصف أنوثتها و تفاصيل جسدها كما عودتنا الرواية التقليدية ، إنما تحضر المرأة من خلال الوعي ..."[1]

فالمثقفون لا يتساوون مع الناس العاديين في منطق الحب البسيط و الساذج، وربما لا يفهمون و لا يعيشون المعنى الحقيقي له ، لأنهم يعيشون حبا أشرس يحاولون افتكاكه مهما كان ثمن الحصول عليه داميا و مخيفا و باهضا . لهذا لم يلتق البطل مع حياة يوما لقاء قُدر له أن يكون لقاء حب ، بل هو لقاء وعي بين ذاكرتين جريحتين تناهضان واقعا أسودا مفكك المعالم و الأسس و تحاولان إنكار كينونته الوجودية : "... أنا لا أملك غيركَ ... بل أنت تملكين الكتابة ،أي وهم التفوق و لن نتساوى إلا عندما تكتب قصتنا الحياة ..."[2]

من هنا يمكن القول إن: " الثقافة و الكتب و الكتابة ليست طريقا أو مفتاحا للوصول إلى دهاليز المجتمع من أجل تقليب صراعاتها و نقدها و اتخاذ موقف منها ، إنما هي طريقة للهروب و التخلص الوهمي من الواقع ، فالقراءة و الكتابة موقف نخبوي رومانتي ، إنهما استراحة "[3]

وفي هذا المعنى يواصل بطل الرواية كلامه : " ... لو كنا أميين لسعدنا بحبنا . الأمي يعرف ما يريده من امرأة ، و تعرف هي ما تنتظره منه . و لكن نحن استهوتنا لعبة الكلمات فرحنا نقسو على الحب إكراما للأدب "[4]

---

[1] -الشريف حبيلة ، الرواية و العنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ،الأردن ،2009، ص 122.

[2] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 160.

[3] - أمين الزاوي ، صورة المثقف في الرواية المغاربية المفهوم و الممارسة ، ص 233.

[4] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 160-161.

إن هذا القول ما هو إلا تأكيد على خسارة المثقف لذاته مقابل إبداعه و لفائدة كتاباته ، حيث أصبح مفرغا من كل العواطف الإنسانية العابرة لأشكال الحياة العادية ، متمسكا بوهم و حلم استرجاع حب أقوى و امتلاك مشاعر أسمى تعبر عن قضية وطن أصبح قضيته الشخصية التي تنال الأولوية القصوى و تحتل الصدارة ، فصارت بذلك الكتابة عنده : "وسيلة من أجل نسيان الحاضر المخيف و المفجع و التخلص من سطوته ، و تأجيل الموت الذي يتربص بالذات كل حين ، و هنا يتقاطع السارد مع ماضيه و حاضره و يكتب مذكراته على وقع دوي الانفجارات و الخوف "[1]

وعليه نجد حياة تزايد على بطلها الورقي في اقتناعها بعدم جدوى هذا الحب الحسي مشيدة بدور الكتابة في الحد من هذه الفوضى التي يعيشانها على وقع خطى فوضى أبشع منها فتقول: " ... الكتابة تغير علاقتنا مع الأشياء ... لأن تداخل الحياة و الأدب يجعلك تتوهم أحيانا أنك تواصل الحياة . نصا بدأت كتابته في كتاب . و أن شهوة الكتابة و لعبتها تغريك بأن تعيش الأشياء، لا لمتعتها و إما لمتعة كتابتها ... و أنا التي كنت أحلم بكتابة كتاب واحد ، يمكنني بعده أن أموت كاتبة ، ها أنا وُفقت على الأقل ، مع قارئ واحد .. تطابق مع بطلي حد إدهاشي ، فقلب حياته و حياتي.. رأسا على عقب "[2]

وهكذا يفقد المثقف أحقية الخصوصية في الحياة و يخسرها لصالح خصوصيته الكتابية الباحثة عن الوطن المجهد .

---

[1]- فريدة مازوني ، انفتاح الجنس الروائي و تحولات الكتابة ، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ، 2013، ص127.

[2] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 308-309 .

3ـ الكتابة لعنة تطارد المثقف:

في الوقت الذي كان لابد فيه منأن يكون المثقف سلاح الأمة و لسانها الناطق بالحق و العدل، و السد الذي يدفع عن الوطن سيول الموت و الإرهاب أصبح هو ذاته محل تشكيك و صارت كلمة مثقف أو شاعر أو كاتب جنحة تجلب لهذا المثقف كل أشكال الخطر و ألوان الموت و انتظار المصير المجهول وأضحت الكتابة واشية بصاحبها لا ترفع من رتبته كمفكر و مصلح.

وبهذا ترسخت قناعة لدى البطلة أن : " على الكاتب أن يفكر كثيرا قبل أن يكتب قصة .. ففي أية لحظة ، قد تأخذ الحياة قصته مأخذ الجد ، و تعاقبه بها ، أو تعاقب ذلك المسكين الذي وقع تحت سطوة الكلمات "[1]

فجُرم الكتابة لم يعد حكرا على صاحبها ، بل أصبح القارئ في نظر هؤلاء مشاركا في هذا الجرم و ينبغي أن يقع عليه ما وقع على الأول ،لأن عامة الناس إذا كانت : " تريد احتضان الكاتب ، و تزهو بشهرته و تعتبرها مكسبا للوطن ، فإن السلطة التي تخاف من سلطة الكاتب الشعبية ، تحاول دائما أن تصبغ عليه صفات اللامسوؤلية ، حتى تفتت حضوره النبوي بين الناس؛ لأن هذا الحضور يمثل سلطة تزاحم سلطتها و يكشف في الوقت نفسه عن زيفها "[2]

[1] - المصدر نفسه ، ص 309.

[2] - أمين الزاوي ، صورة المثقف في الرواية المغاربية المفهوم و الممارسة ، ص 281.

فصار المثقف يتمنى لو أنه كان شخصا عاديا أميا حتى يتخلص من هذه التهمة الملصقة به:" في الواقع ، من كثرة ما قرأت ، اكتشفت أن مصيبتي هي في كوني لست أمية . فكم من الأشياء قد تحدث لنا بسبب ما نقرأ ..."[1]

فالسلطة في هذه الفترة كانت تحاول طمس المعالم الثقافية و إرساء الثقافة السياسية ليكثر تابعوها دون أن يفهموا مشاريعها الكبرى أو يتدخلوا في مخططاتها التهديمية – في الكثير من الأحيان- ، فكان : "الاهتمام بشخص المثقف و تصويره إنسانا سلبيا مصدوما لا يملك تغيير ما أُجبر عليه "[2]

والسلطة لا تريد أن تفهم رعاياها بل تريد أن تتحكم في أقدارهم و مصائرهم فصارت الكتابة إدانة لكاتبها وأصبح هو الآخر متهما لا يستطيع بأي شكل من الأشكال الدفاع عن مبادئه و قناعاته التي اُنتهكت :ف " أغرب ما يمكن أن يحدث لكاتب أن يكتشف أنه مع كل صفحة يكتبها ، يكتب عمره الآتي "[3]

ولهذا يقرر المثقف في الكثير من الأحيان التخلي عن هذه المسؤولية و إنزال هذا الحمل عن كتفيه : "أما أنا فكنت أشعر بخفة ، و شيء من السعادة ، التي لم أجد لها من تفسير ، إلا عندما تذكرت أن سببها ذلك الدفتر الذي تركته خلفي ، غير معنية بمصيره .. و لا بتلك المكاسب الأدبية التي كان يمكن أن

[1] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 308-309.

19- مليكة ضاوي ، تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة ، ص 384.

[3] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 364.

أجنيها من وراء نشره ...الحقيقة ، هي أنني خفت إن أنا احتفظت به أن يحل بي ما حل بتلك الكاتبة ..."[1]

وسبب هذا القرار الصعب الذي وصل إليه المثقف أن الكتابة لم تعد : " الوصفة المثلى لإنفاق حياتك خارج الحياة ، و لكنها في هذا البلد بالذات ، هي التهمة الأولى التي قد تفقد بسببها حياتك "[2]

وأصبحت الكتابة الروائية بؤرة هذا التخوفكونها : " لا تتناول فقط السلطة و مختلف مؤسساتها المرتبطة بها ... بل صارت بدورها ، هي أيضا ، موضوعا تتناوله السلطة . تتعرض مثل أبطالها للمحاكمة و للمصادرة و للحجز"[3]

4. المثقف بين الواجب و خيبة الأمل :

تصف لنا حياة بطل الفيلم الذي ذهبت لمشاهدته بقولها : " إنه أستاذ تجاوز سن الأربعين ببضع خيبات ... عاد بعد جيل و أكثر إلى المعهد الذي درس فيه .. من الواضح أته جاء لينقذ الطلبة من الأخطاء التي سبق أن تعلمها على هذه المقاعد نفسها ، أو تلك القناعات التي تربى عليها ... و تكفلت الحياة بتكذيبها.."[4]

إن وظيفة الأستاذ المثقف لا تقف عند حدود عملية تلقين العلوم و المعارف و ترسيخها في أذهان المتعلمين و حسب ، بل إن وظيفته الأسمى

---

[1] - المصدر نفسه ،ص 369.

[2] - المصدر نفسه ، ص 371.

[3]- سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود و الحدود ، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر ،ص 191.

[4] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص46.

نشر الوعي لتلافي الأخطاء التي تتخبط فيها أجيال سابقة بأسرها أيضا ، فالمثقف من خلال تذمره من الواقع يسعى إلى إيجاد مكان يستطيع فيه أن يمنح للأجيال خلاصة تجاربه و فكره و عمله لكي يضمن عدم انقطاع مسيرة الإنتاج الحضاري البعيد عن لغة المال و السلاح و الخدع السياسية المفخخة .

وبالرغم من أن الأستاذ كان يحمل نوايا طيبة للتغيير و التحسين إلا أننا نجد مسحة من فقدان الأمل تسيطر عليه فيقول للطلبة : " كل الذين ترونهم على هذه الصور ...بابتساماتهم العريضة ، وطموحاتهم الكبيرة ، و مشاريعهم .... عظام تحت قبور فاخرة ، لقد ماتوا كما ستموتون "[1]

هذا اليأس نابع من إدراك المثقف أن : "الإنسان لا يستطيع أن يبدع و يظل راضخا لحدود القهر ، و لكنه يبدع بالتجاوز "[2]فشعور المثقفين بالإحباط و العزلة هو نتيجة لتهميش مسلط عليهم من طرف السلطات التي قطعت كل روابط التواصل بينهم و بين عامة الناس و عليه : "لا يمكن الحديث عن مثقفين داخل مجتمع غير مثقف بسبب انعدام صلة الفهم و التفاهم التي تمكنهم من القيام بدورهم "[3]

ولهذا نجد ناصر شقيق حياة ينصحها بالتخلي نهائيا عن الكتابة : " لا أفهم من أين لك القدرة على مواصلة الكتابة و كأن شيئا لم يحدث ...توقفي

[1] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص47 .

[2]- سارة شريك ، ترجمة الاستعارة في الرواية الجزائرية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير في مشروع الترجمة الأدبية ، معهد الترجمة ، جامعة وهران ، 2016/2015 ، ص 41.

[3]- عبد الفتاح العلمي ، واقع و مستقبل المثقف العربي في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية ، ص 165.

... تأملي الخراب من حولك . لا جدوى مما تكتبين ... و لأنك كاتبة عليك أن تصمتي ... أو تنتحري ... الذين تكتبين من أجلهم إنهم ينتظرون أن يتصدق عليهم الناس بالرغيف و الأدوية و لا يملكون ثمن كتاب "[1]

لكن حياة لم تكن مقتنعة في البداية برأي أخيها لأن : "الكتابة هي السلاح الوحيد بيد المثقف لفضح السفاحين و المتاجرين بدم الجزائريين ، و الذين أوصلوا الجزائر إلى هذا الطريق المسدود "[2]

وفي الأخير تقتنع حياة بعدم نفعية الكتابة في مواجهة الرصاص : " ... سنتين كاملتين ، تعلمت فيها أن أحتقر كل أولئك الكتاب الذين في الجرائد و المجلات واصلوا الحياة دون خجل ، أمام جثمان العروبة .. خلال تلك الفترة .... لم تكن تفارقني فكرة الانتحار"[3]

أصبحت ظاهرة الانتحار في أوساط المثقفين ترجمة حقيقية و صادقة لشعور الخيبة اتجاه الأوضاع الداخلية المتعبة للوطن تماما كما فعل خليل حاوي و الكاتب الياباني ميشيما ، ذلك أن المثقف:" شب عن الطوق و استطاع في حالات كثيرة التأثير على التفكير العام في بلاده، و لكنه بهذا الدور خرج لكي يواجه عددا هائلا من الضغوط لا حصر لها . القديم منها و الجديد خاصة منها شيوع الاستبداد السياسي و الإرهاب الفكري "[4] .لقد :" انتهى زمن

[1] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 129.

[2] - سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، ص 100.

[3] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 130 .

[4] - لطيفة قرور، هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار الشمعة و الدهاليز-الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي – الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير ، جامحة منتوري ، قسنطينة ، 2009، ص 173.

الموت الجميل ، لم يعد بإمكان أحد الآن حتى في رواية، أن يموت في معركة كبيرة . لقد أفلست جميع قضايانا ..."[1]

أصبحت الكتابة وفق هذا التصور وهما حقيقيا:" لأن المثقف لم يجد الجو الملائم لتحقيق رغبة الكتابة ...إن عبث الوجود و الواقع لا يمنح الكتابة حقها في التحقق"[2]

وفي ظل هذه العراقيل التي تحول دون تحقيق المثقف لرسالته الإنسانية تظل الكتابة عامة و الرواية على وجه الخصوصتجسيدا ل: " هموم و طموحات طبقات القاع الاجتماعي التي همشتها الأنظمة القمعية العربية ، أي أنها كما يقول أنطونيو غرامشي تصدر عن مثقف عضوي ارتبط مصيره بمصير الطبقات المحكومة لا الحاكمة ... فيتعين على الروائي أن يعبر عن مشاكل الحياة المعاصرة ... و أن يعرف قراءة التاريخ و أن يكون شاهدا يقظا على عصره "[3] .ومنه لا يفقد المثقف دوره كحلقة فاعلة في طريق التغيير و إحداث الثورة ،بل يتخذ الكتابة سلاحا للمقاومة يحترق بنار تجربتها و قداستها .

الخاتمة:

لعل ما يمكن الوصول إليه كنتيجة لهذه الدراسة أن صورة المثقف في رواية العشرية السوداء تعكس رغبة الكاتب الروائي في تصوير معاناة الجزائريين في رماد الأزمة حينما وظف ذواتا فاعلة سُلطت عليها أشكال الضعف والإحباط و العجز .

---

[1] - أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، ص 303.

[2] - فريدة مازوني ، انفتاح الجنس الروائي و تحولات الكتابة ، ص128-129.

[3] - الشريف حبيلة ، الرواية و العنف ، ص 199.

خضع التشكيل الفني في الرواية لفوضى هذه الأشكال التي تعكس سياقا اجتماعيا فعليا بكل ما يحمله من إشكالات و تناقضات ، في مقابل رقي و تحضر في إثبات فكر مثقف يواجه الدموية بقلم الثبات و الترفع و الإصلاح .

فدور المثقف لا يتلاشى رغم جميع الظروف السلبية المحيطة به، بل إن واجبه ساري المفعول في كل زمان و مكان ، ولا ينبغي له الغياب عن الساحة الثقافية ، لأنه الشخص الأكثر مقدرة على صناعة الثقافة التي تنمي الحركة المجتمعية وتسير بها نحو الإنتاج و بعث الحياة في المشهد الأدبي الإنساني من جديد.

قائمة بيبليوغرافية :

1- أحلام مستغانمي ، فوضى الحواس ، دار الآداب للنشر و التوزيع ، ط9 ، بيروت ،لبنان، .2010

2- أمين الزاوي ، صورة المثقف في الرواية المغاربية المفهوم و الممارسة ، دار النشر راجعي ، الجزائر ، .2009

3- سارة شريك ، ترجمة الاستعارة في الرواية الجزائرية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير في مشروع الترجمة الأدبية ، معهد الترجمة، جامعة وهران ، 2016./2015

4- سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير تخصص أدب جزائري معاصر ، كلية اللغة و الأدب العربي ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة .

5- سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود و الحدود ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان – دار الأمان الرباط – منشورات الاختلاف الجزائر .

6- سهيلة حركاتي ، سيميائية الفضاء في رواية خرائط لشهوة الليل لبشير مفتي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير تخصص أدب جزائري ، كلية اللغة و الأدب العربي ، جامعة سطيف2 .

7- الشريف حبيلة ، الرواية و العنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، ,2009

8- لطيفة قرور ، هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار : الشمعة و الدهاليز – الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي – الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير في الأدب الجزائري ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009.

9- عبد الفتاح العلمي ، واقع و مستقبل المثقف العربي في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية .

10- فريدة مازوني ، انفتاح الجنس الروائي و تحولات الكتابة ، منشورات مخب الممارسات اللغوية في الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ،2013..

11-محمد ساري ، وقفات في الفكر و الأدب و النقد ، دار التنوير ، .2013

12- مليكة ضاوي ، تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية (2005/1995) دراسة موضوعاتية فنية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، كلية اللغة و الأدي العربي، جامعة الحاج لخضر باتنة .